بسم الله الرحمن الرحيم

بِرُّ الْوَالِدَيْنِ زِينَةُ الْأَعْيَادِ 01 شَوَّالٍ 1447هـ

عِبَادَ اللهِ: اعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ أَنَّ أَعْظَمَ الْحُقُوقِ بَعْدَ حَقِّ اللهِ تَعَالَىٰ حَقُّ الْوَالِدَيْنِ؛ وَلِذَا قَرَنَهُ سُبْحَانَهُ بِعِبَادَتِهِ، فَقَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾. إِنَّهُ قَلْبُ الْأُمِّ، وَاللهُ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وَإِنَّهَا عَيْنُ الْأَبِ، وَاللهُ جَلَّ شَأْنُهُ يَقُولُ: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾. إِنَّهَا غَايَةُ الْمَشَاعِرِ الْجَيَّاشَةِ، وَالْعَوَاطِفِ النَّابِضَةِ أَنْ يَفْرَغَ قَلْبُ الْأُمِّ، وَتَبْيَضَّ عَيْنُ الْأَبِ لِأَجْلِ أَوْلَادِهِمَا.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾. فَيَا لِلَّهِ مَا أَسْعَدَ مَنْ مَاتَ عَنْهُ أَبَوَاهُ أَوْ هُوَ مَاتَ عَنْهُمَا وَهُمَا عَنْهُ رَاضِيَانِ، لِلَّهِ مَا أَسْعَدَهُ وَمَا أَهْنَأَهُ. أَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ»، عَنْ حُمَيْدٍ قَالَ: لَمَّا وَلِيَ إِيَاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْقَضَاءَ أَتَاهُ الْحَسَنُ، فَبَكَىٰ إِيَاسٌ، فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ: مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَا وَاثِلَةَ؟ قَالَ كَانَ لِي بَابَانِ مَفْتُوحَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، فَأُغْلِقَ أَحَدُهُمَا.

ثُمَّ يَا لِلَّهِ مَا أَخْيَبَ مَنْ مَاتَ عَنْهُمَا وَهُمَا عَنْهُ غَاضِبَانِ، أَلَا مَا أَخْسَرَهُ ، بُعْدًا لَهُ وَسُحْقًا؛ فَإِنَّ اللهَ قَرَنَ الْإِحْسَانَ لَهُمَا بِعِبَادَتِهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، وَقَرَنَ شُكْرَهُمَا مَعَ شُكْرِهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾. بَلْ إِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا جَعَلَ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ مِنْ أَسْبَابِ قَبُولِ الْعَمَلِ، وَالتَّجَاوُزِ عَنِ السَّيِّئَاتِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ...﴾، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ

نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ، وَلَهُ وَالِدَةٌ، وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ».

إِنَّ الْقَلْبَ إِذَا لَامَسَ شِغَافَهُ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ كَانَ لَهُ حِصْنٌ مَنِيعٌ مِنَ الْكِبْرِ وَالْغِلْظَةِ وَالْعُقُوقِ وَالنُّكْرَانِ؛ فَإِنَّ الْبِرَّ طَبْعٌ مَتِينٌ طَارِدٌ لِخِصَالِ السُّوءِ. فَمَا رَأَى النَّاسُ بَارًّا خَبِيثَ الطَّبْعِ، وَلَا رَأَوْا خَبِيثًا بَارًّا.

وَلَا عَجَبَ عِبَادَ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ جَلَّ شَأْنُهُ جَعَلَ الشَّقَاءَ مُضَادًّا لِلْبِرِّ بِالْوَالِدَيْنِ كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷻ عَنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾.

عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ ضَرَبَ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَالصَّالِحُونَ مِنْ عِبَادِ اللهِ أَرْوَعَ الْأَمْثِلَةِ فِي بِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

الْأَوَّلُ: إِسْمَاعِيلُ يَسْتَجِيبُ لِأَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، لَمَّا قَالَ لَهُ أَبُوهُ: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾.

الثَّانِي: مَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ، أَنَّهُ شَهِدَ ابْنَ عُمَرَ وَرَجُلٌ يَمَانِيٌّ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، حَمَلَ أُمَّهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، يَقُولُ:

إِنِّي لَهَا بَعِيرُهَا الْمُذَلَّلُ إِنْ أُذْعِرَتْ رِكَابُهَا لَمْ أُذْعَرِ

ثُمَّ قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ، أَتُرَانِي جَزَيْتُهَا؟ قَالَ: لَا، وَلَا بِزَفْرَةٍ وَاحِدَةٍ.

الثَّالِثُ: مَا أَخْرَجَهُ أَبُو الْفَرَجِ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي كِتَابِهِ «بِرِّ الْوَالِدَيْنِ»، عَنْ أَنَسِ بْنِ النَّضْرِ الْأَشْجَعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اسْتَقَتْ أُمُّ ابْنِ مَسْعُودٍ مَاءً فِي بَعْضِ اللَّيَالِي، فَذَهَبَ فَجَاءَهَا بِشَرْبَةٍ، فَوَجَدَهَا قَدْ ذَهَبَ بِهَا النَّوْمُ، فَثَبَتَ بِالشَّرْبَةِ عِنْدَ رَأْسِهَا حَتَّى أَصْبَحَ. وَأَخْرَجَ أَيْضًا عَنْ ظَبْيَانَ بْنِ عَلِيٍّ الثَّوْرِيِّ - وَكَانَ مِنْ

أَبَرِّ النَّاسِ بِأُمِّهِ - قَالَ: لَقَدْ نَامَتْ لِلَيْلَةٍ وَفِي صَدْرِهَا عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَقَامَ عَلَىٰ رِجْلَيْهِ يَكْرَهُ أَنْ يُوقِظَهَا، وَيَكْرَهُ أَنْ يَقْعُدَ، حَتَّىٰ إِذَا ضَعُفَ جَاءَ غُلَامَانِ مِنْ غِلْمَانِهِ، فَمَا زَالَ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا حَتَّىٰ اسْتَيْقَظَتْ.

الرَّابِعُ: مَا ذَكَرَهُ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «سِيَرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ»، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ: أَنَّهُ كَانَ يَضَعُ خَدَّهُ عَلَىٰ الْأَرْضِ، ثُمَّ يَقُولُ لِأُمِّهِ: قُومِي، ضَعِي قَدَمَكِ عَلَىٰ خَدِّي. وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مُصَنَّفِهِ»، وَالذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «السِّيَرِ»، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: مَا بَرَّ وَالِدَهُ مَنْ شَدَّ الطَّرْفَ إِلَيْهِ.

أَيُّهَا الْآبَاءُ: مَا أَحْوَجَنَا إِلَىٰ احْتِضَانِ الْأَبْنَاءِ وَالرِّفْقِ بِهِمْ، أَخْرَجَ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مَرْوَانَ الدِّينُورِيُّ فِي كِتَابِهِ «الْمُجَالَسَةِ وَجَوَاهِرِ الْعِلْمِ»، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ قَالَ: غَضِبَ مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَىٰ ابْنِهِ، فَهَجَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! أَوْلَادُنَا ثِمَارُ قُلُوبِنَا، وَعِمَادُ ظُهُورِنَا، وَنَحْنُ لَهُمْ سَمَاءٌ ظَلِيلَةٌ وَأَرْضٌ ذَلِيلَةٌ، إِنْ غَضِبُوا فَأَرْضِهِمْ، وَإِنْ سَأَلُوا فَأَعْطِهِمْ، وَلَا تَكُنْ عَلَيْهِمْ قُفْلًا؛ فَيَمَلُّوا حَيَاتَكَ، وَيَتَمَنَّوْا مَوْتَكَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِمُصَاحَبَةِ الْوَالِدَيْنِ بِالْمَعْرُوفِ، حَتَّىٰ وَإِنْ كَانَا كَافِرَيْنِ، فَلَا يَخْتَصُّ بِرُّهُمَا بِكَوْنِهِمَا مُسْلِمَيْنِ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ إِذْ عَاهَدَهُمْ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ». نَقَلَ الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَفْسِيرِهِ» عَنْ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: إِذَا بَلَغَا عِنْدَكَ مِنَ الْكِبَرِ مَا يَبُولَانِ فَلَا تَتَقَذَّرْهُمَا، وَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ حِينَ تُمِيطُ عَنْهُمَا الْخَلَاءَ وَالْبَوْلَ كَمَا كَانَا يُمِيطَانِهِ عَنْكَ صَغِيرًا.

تَأَمَّلُوا -رَحِمَكُمُ اللهُ- كَيْفَ أَمَرَ الْإِسْلَامُ بِمُصَاحَبَةِ الْوَالِدَيْنِ بِالْمَعْرُوفِ، مَعَ هَذَا الْقُبْحِ الْعَظِيمِ الَّذِي يَأْمُرَانِ وَلَدَهُمَا بِهِ -وَهُوَ الْإِشْرَاكُ بِاللهِ-، فَمَا الظَّنُّ بِالْوَالِدَيْنِ الْمُسْلِمَيْنِ، وَلَا سِيَّمَا إِنْ كَانَا صَالِحَيْنِ؟! تَاللهِ إِنَّ حَقَّهُمَا لَمِنْ أَشَدِّ الْحُقُوقِ وَآكَدِهَا، فَالْمُوَفَّقُ مَنْ هُدِيَ إِلَيْهِ، وَالْمَحْرُومُ مَنْ صُرِفَ عَنْهُ، وَاللهُ الْهَادِي إِلَىٰ سَوَاءِ السَّبِيلِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ لِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ صُوَرًا كَثِيرَةً مِنْهَا:

الْأُولَىٰ: مِنْ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ إِدْخَالُ السُّرُورِ عَلَيْهِمَا. أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: جِئْتُ أُبَايِعُكَ عَلَىٰ الْهِجْرَةِ، وَتَرَكْتُ أَبَوَيَّ يَبْكِيَانِ، فَقَالَ: «ارْجِعْ عَلَيْهِمَا فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا».

الثَّانِيَةُ: مِنْ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا أَنْ لَا يَتَعَرَّضَ لِسَبِّهِمَا، وَلَا يَكُونَ سَبَبًا فِي شَتْمِهِمَا. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ».

الثَّالِثَةُ: مِنْ تَمَامِ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ صِلَةُ أَهْلِ وُدِّهِمَا بَعْدَ مَوْتِهِمَا. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ، وَحَمَلَهُ عَلَىٰ حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ. وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَىٰ رَأْسِهِ، فَقَالَ ابْنُ دِينَارٍ: فَقُلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ اللهُ، إِنَّهُمُ الْأَعْرَابُ، وَإِنَّهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وُدًّا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ: صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ».